كتاب الشباب

المهرجانجي
السلام عليكم - رئبال



أحمد عبد السلام البقالي

مجموعة قصص

مكتبة العبيكان

مجموعة قصص :

- المهرجانجي
- السلام عليكم
- رئبال

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي، أحمد عبدالسلام

المهرجانجي، السلام عليكم، رئبال - الرياض

٤٢ ص، ١٤X٢١سم

ردمك: ٣-١٢-٤٠-٩٩٦٠

١- القصص القصيرة العربية - السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١ ٢٢/١٨٢٩

رقم الإيداع: ٢٢/١٨٢٩ ردمك: ٣-١٢-٤٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩



المهرجانجي

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

«المَهْرَجَانْجِي!»

يا لَها من تسميةٍ عجيبةٍ!

تسميةٍ تنطبِقُ على مُسمَّاها كالقُفَّاز المطاطي على يدِ الجرَّاحِ! لا يدري أحدٌ من أطلقها على القادمِ الغريبِ إلى مدينتِنا الصغيرةِ، كما لا يدري أحدٌ من أين قدِمَ الغريبُ.

كان الناس ينطقونها بلهجَتِهم الجَبَليةِ « المَهْرَجَّانْجِّي» بتشديدِ الجيمين فتأتي كدقَّتَيْ صنْجٍ قويتين متتاليتينِ تُعلِنانِ افتتاحَ مهرجانٍ...

وكان هو يرتدي حلَّةَ بهلوانٍ أنيقةً قُزَحِيةَ الألوانِ، ويتغيَّرُ غطاءُ رأسِه بتغيُّرِ الحُلَلِ البهْلَوانيةِ. وكان بمُفْرَدِه جوقةً موسيقيةً كاملةً؛ يعزِفُ على البانجو وينفُخُ في هارمونيكا معلَّقةٍ على صدرِه، ويدُقُّ بمِرفقَيْهِ على طَبْلٍ معلَّقٍ فوق ظهرِه، ويُطْبِقُ ركبَتيْه على صنْجٍ، ويجَلْجِلُ النواقيسَ المحيطَةَ بساقَيه. كلُّ ذلك في انسجامٍ كاملٍ، ودون خلَلٍ أو نَشَازٍ!

ظهر ذاتَ صيفٍ فمَلأَ الأسماعَ والأبصارَ، وشغلَ الصغارَ والكبارَ، وتبِعَه الأطفالُ في الأزقَّةِ والشوارعِ، يُقلِّدون رقَصَاتِه،

ويُنْشِدُون معهُ على وزْنِ الأغنيةِ الشعبيةِ السوريةِ الجميلةِ (على عُصفورية):

المهرجانجي... المهرجانجي..

فيردُّ عليهم هُوَ، ويدُهُ على أُذُنه:

أَرْقُصْ وأُغنِّي أَحْلَى الأغَاني الشعبيَّة...

حتى صار ردُّه هذا آليا يصدُرُ عنه دونَ وعْيٍ...

وكان يساعدُهُ ابنٌ له في حوالَي العاشرَةِ، يناديه «إِسْحاقًا»، كان هو الآخرُ يرقصُ رقصاتِ الغَجرِ ويدُكُّ الأرضَ بِوَرِزَيْهِ الخَشَبِيَّين دكًّا قويًا منسجِمًا مع الإِيقاعاتِ التي كانت تصدُرُ عن جوقَةِ أبيه الفرْديةِ، ويروحُ في غيبوبةٍ من النشوةِ تُطْرِبُ الجمهورَ!

* * *

وذات يوم، والمهرجانجي يجوبُ المدينةَ، سحبه من ذيلِ سُتْرَتِه طفلٌ صغيرٌ، وأدخلَه إلي دارِ عُرْسٍ، فاحتلَّ قاعَتَها الواسعةَ، ووقفَ يُحَيِّي الحاضرين بانحناءاتٍ أنيقةٍ. وسكت الجوقُ الموسيقي، فسيطرَ المهرجانجي على الحفلِ بعزفِهِ ورقصِه وغِنائه.

كــــان يرقصُ البلَديَّ القـــديمَ، والأوروبي والأمـــريكي الحديثَ، ويُغنِّي بجميعِ اللُّغاتِ.

ومنذُ حضورِه العُرْسَ الأولَ، أصبح المهرجانجي وابنُهُ (صَرْعَةَ) البلدِ الجديدةَ، وقاسِمًا مُشتَركا بين جميعِ الأفراحِ. وصار هو، كُلَّما استُدعِي إلى عرسٍ، هيَّأ له فُرجَةً جديدةً.

وحين دعاهُما كبيرُ أغنياءِ البلدِ لحفلِ زفافِ ابنتِه توقَّع الناسُ أن يأتيا بمفاجأةٍ مثيرةٍ جديرةٍ بمقامِ الداعي الكبيرِ... وكذلك كان. فأثناء حفلِ النساء أبدعَ المهرجانجي وابنُه في العزفِ والغناءِ لدرجةٍ كَسَفَتْ الأجواقَ الموسيقيةَ المتعددةَ وأخْرَسَتْها.

وحضر الرجلُ الثريُّ للسلامِ على ابنتِه العروسِ، وهي «بارزةٌ» على الكُرْسِي المذَهَّبِ في كاملِ زينتِها، فحيَّاهُ المهرجانجي بأنشودةٍ رائعةٍ أشعرَتِ الرجُل بنشوةِ المجدِ!

وما إن جلَسَ أبو العروسِ بجانبِ ابنتِه المزيَّنةِ حتى خرجَ المهرجانجي إلى القاعةِ، وطلب الصمْتَ التامَّ، ثم أنشَدَ قصيدةً في وصفِ العروسِ، ومدَح والديْها بما عُرِفَ عنهما من فضائل،

أهمُّها جبلُ الذهبِ الذي يقْعُدُ عليه كبيرُ الأغنياءِ! فتأثَّر الرجلُ وزوجتهُ حَتَّى دمعت عيونُهما. . .

وحينئذٍ خرج إسحاقُ يحملُ مِبْخرتين مربوطتَينِ بسلاسلَ من نُحاسٍ، وسلَّمهُمَا للمهرجانجي، وجاء بأُخْرَيينِ. ووقف الاثنانِ يُلوِّحانِ بالمباخِرِ في الهواءِ ويتصايحان، ويُلاعِبانِ بعضَهُما البعضَ، وكأنهما في مُبارزةٍ! وتداخلت المباخِرُ بعضُها مع بعضٍ حتى خافتِ الحاضراتُ من تصادُمِها أو تشابُكِها وتناثُرِ الجمْر على الرؤوسِ والملابسِ الثمينة! وكانا، وهما يتراقصان يُخْرِجانِ من حلْقَيْهِمَا أصواتًا كالزغاريدِ أو شقْشَقةِ العصافير، ويتضاحكان من أعماقِهما، وكأنهما طفلانِ مُتمَرِّدان لا يراقِبُهما أحدٌ!

وانفجرتِ القاعة بتصفيقِ الإعجابِ والزغاريدِ والهُتاف! وانْفَصَلَ الاثنان، وتوقفتِ المباخرُ عن الدورانِ برشاقةٍ وهدوءٍ، وقد عَبَقَ جوُّ القصْرِ ببخورِها الناعمِ المريحِ والمهدِّئ للأعصاب. وعندها تناولَ إسحاقُ المكروفون، ورفَعَ صوتَه الرخيمَ بغناءِ الأبياتِ التي أنشَدَها أَبُوه. ورَقَّ صوتُه وحلاً وانخفضَ النورُ،

وثقُلَتِ الجفونُ والرؤوسُ، وانخرَطَ الجميعُ في نومٍ عميق...

أَقْفلَتْ يدٌ خفيةٌ بابَ القصرِ لمدَّةٍ لا يدري أحدٌ كَمْ دامت. وبقِيَ الأمرُ كذلك إلى أن حضرَ أهلُ العريسِ تتقدَّمُهم جوقةٌ موسيقية. ووقفتِ الكاديلاك البيضاءُ ببابِ القصرِ، وخرج العريسُ الشابُّ مُحاطًا (بوُزَرَائِه) وأصدِقائِه، ودخل القصرَ تسبِقُه الشموعُ وزغاريدُ البنات...

وفُوجِئَ الجميعُ بمشهدِ الفرحِ النائم! وخافوا أن يكونَ الحفلُ قد وقَعَ ضحيةَ تسمُّمٍ جَماعي! ولكنَّ النائماتِ سُرعانَ ما أخذنَ يستيْقِظْنَ من رُقادِهِن، ويوقظُ بعضهُنَّ البعضَ. وكان آخِرَ من استيقظ المهرجانجيُّ وابنُه. استيقظا على صُراخ امرأةٍ سمينةٍ اكتشفت ضياعَ حزامِها الذهبيِّ الثمينِ وجميعِ قِطَعِ حُلاَها! وانتبهَ الجميعُ إلى أن المصيبةَ كانت عامّةً، وأن حُلَى جميعِ الحاضراتِ قد تبخَّرَتْ!

وتحولَ العرسُ إلى مَأْتم!

* * *

وحضر رجالُ الأمنِ فأقفلوا الأبواب وبحثوا في كلِّ ركْنٍ،

فلم يعثُروا للمسروقِ على أثرٍ. ووقف عميدُ الشرطةِ يطمئِنُ السيداتِ بأنه سيبذُلُ قُصارَى جهدِهِ لإرجاعِ مسروقاتِهن. وأخبرَ بأن المدينةَ مطوقَةٌ، والبحثَ جارٍ على قدمٍ وساقٍ.

وكان العروسان وأهلُهما أكثرَ الحاضرين حُزْنًا وانزِعاجًا. ولاحظ المهرجانجي ذلك، فقام وأمسَكَ بالميكروفونِ في محاولةٍ شُجاعةٍ لتغييرِ جوِّ الحزْنِ. فدعا الجميعَ إلى نسيانِ ما حدث، وزَفَّ العروسِ البريئةِ إلى عريسِها بكل مظاهرِ البهجةِ والسرورِ. وبعد خطابه المؤثِّرِ، قفز إلى وسَطِ القاعةِ بأغنيةٍ راقصةٍ، وتبِعَه إسحاقُ يعزِفُ على الدَّفِّ ويرقُصُ. وانضمَّ الجوقُ الموسيقي إليهما وامتلأتِ القاعةُ هرجًا ومرجًا، ووقف الأطفالُ يرقصون... ولكنَّ بهجةَ العرسِ وسحرَهُ السابقَ كانا قد انطَفَأا. وزُفّتِ العروسُ قبل الموعدِ التقليدي.

* * *

وتأثَّرَ عميدُ الشرطةِ الشابُّ، (عُمَرُ النصْراوي)، للموقفِ الإنساني النبيلِ الذي وقفه المهرجانجي وابنُه من العريسين وذَويهِما، رغم أن الفتى ضاعَ منه هُو الآخرُ خاتَمٌ نفيسٌ.

وكان المهرجانجي آخرَ من ودَّع أهلَ العريسين آسفًا على ما حدث. وحين صافَح إسحاقُ العميدَ بوجهٍ حزينٍ قال له العميدُ: «لا تحزنْ، وتأكَّدْ من أننا سنَقْبِضُ السارقَ، ونرُدُّ خاتَمَكَ إليك، والمسروقَ إلى أهله!»

وودَّعَه المهرجانجي داعيًا له بالتوفيقِ، وطالبًا منه الاحتفاظَ بخاتَمِ إسحاقَ حتى يعودا من جولتِهما التي كانت ستبدأُ في اليومِ الموالي. وكتب له العميدُ ورقةَ مُرورٍ حتى يستطيعَ مغادرةَ المدينةِ دون توقيفِ حواجزِ التفتيشِ. وغادر المهرجانجي وابنُه المدينةَ فجْر ذلك اليومِ على متنِ سيارتِهما القديمةِ التي كانت تسحَبُ خلفَها مقطورةً يسكُنانِ بها أينما ذهبا.

* * *

وتبينَ من التحقيقِ أن ثمنَ المسروقِ الإجماليَّ يربُو عن مليونِ دولارٍ!

وتعاونَ سكانُ المدينةِ مع رجالِ الأمنِ في البحثِ عن العِصابةِ.

ومرَّ أسبوعٌ دون خبرٍ. وكثُرَ التهامُسُ، ثُمَّ الكلامُ والاتهامُ

حتى بلغ ذروَتَه، ثم أخذ يَخِفُّ ويخبُو حتى تلاشَى... وبعد شهرٍ كان الجميعُ قد نسيَهُ إلا العميدُ الشابُّ عُمَرُ النصراوي الذي بقيَ يَجْتَرُّ ألَمَ الخيبةِ ومرارَةَ الفشَلِ.

وكان لغزُ القضيةِ الكبيرُ والمحيِّرُ هو النومُ الجماعيُّ الذي غرِقَ فيه جميعُ من حضروا العرسَ بدون استثناء! ومن إعادةِ الاستماعِ إلي عدد من أشْرطةِ الاستجواباتِ أثارت شكوكَهُ لعبةُ المباخرِ وعَبَقُ البخورِ الشرقيةِ النادرةِ، فقد كان آخرَ ما تذكَّره الحضورُ قبل الانخراطِ في النوم...

* * *

ومرَّتْ سنةٌ كاملةٌ على الحادِثِ. وفي أحدِ أيامِ الصيفِ التالي حلَّ بالمدينةِ رجلٌ أنيقٌ في حوالَيِ الأربعين. نزلَ من سيارةٍ إيطاليةٍ شبابيةٍ حمراءَ لا تَتَناسَبُ مع سنِّه، وجاء لتحيةِ صاحبِ وكالةٍ عقاريةٍ محلِّية. وَدلَفَ الاثنان إلى المدينةِ القديمةِ، وفي طريقِهما كان السمسارُ يومئُ إلى عددٍ من المنازِلِ، ويردِّدُ معَ إيماءَةِ رأسِه: «وهذه لكم كذلك...»

وكان الرجلُ الأنيقُ يقف أمامَ بعضِ المنازلِ أكثرَ من وقوفه

على أُخرى فيبتسمُ أو تدمَعُ عيناه أو يُكَشِّرُ تكشيرةَ شماتَةٍ...

وبينما هو في قِمَّةِ نشوتِه، إذ خرجَتْ جوقَةُ أطفالٍ من أحدِ الدروبِ خلفَهُمَا، ورفعت أصواتَها بغناءِ نشيدٍ كانوا يردِّدونه في الصيفِ الماضي، وهم يسيرون خلفَ المهرجانجي... أخذوا يُنشِدون بلحنٍ« على عصفورية...»

المهرجانجي! المهرجانجي!

وفوجِئَ الأطفالُ بالرجلِ الأنيقِ يتوقَّفُ، ويضعُ يدَه على أُذُنِه، ويردُّ عليهم:

أرقُصْ وأغنِّي أحلَى الأغاني الشعبية!

وفطِنَ إلى حركتِه اللاإراديةِ، فتداركَها مُتَظاهراً بحَكٍّ أُذُنِه... والتفتَ حوالَيْه ليتأكَّدَ من أن أحداً لم يُلاحِظْ حركتَه الواشيةَ! وبَرَدَ الدمُ في عروقِه حين رأى العميدَ على رأسِ الزُّقاقِ ينظرُ إليه بعينين ثاقبتين كاشفتين، ويصفِّقُ بيديه للصغارِ ليتفرقوا: «اذهبوا الآن!»

واستسلمَ المهرجانجي، دون مقاومةٍ...

وحكمت عليهِ المحكمةُ بخمسِ سنواتٍ سجنًا، وبإرْجاعِ المسروق، وإدخالِ إسحاقَ إلى مدرسةِ الفنونِ الجميلةِ لتعلُّم مهنةً تناسِبُ مواهِبَه.



السلام عليكم

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

هَمَسَ «الصدِّيقُ أبو عَزَّةَ» لرفيقهِ «مُفضَّلٍ الكِرْشاوي»:

– هل أنت متأكدٌ من أنه لا خطَرَ في هذه العَمَليةِ؟

فردَّ «مفضل الكرشاوي» بصوتٍ محَشْرَجٍ مبْحوح من مرضٍ تنفُّسِي أُصيبَ به في السجنِ من كَثرةِ تدخينِ أعقابِ السجائر:

– مائةً في المائة! اترُكِ الأمرَ لي، وسترى ستصبحُ رجلاً غنيًا، ويعفو اللهُ عنك من جمْعِ الأزبالِ والتنقيبِ في الأوساخ...

واحتجَّ «أبو عزَة» رافعًا صوته قليلاً:

– أنا لا أنقِّبُ في الأزبالِ! أنا موظَّفٌ مع البلديةِ. أتقاضَى أُجرتي في آخرِ الشهرِ كأيِّ مواطن محترِفٍ!

وقاطعَه «الكرشاوي» بصوتِه المبحُوح:

– سَمِّ نفسَكَ ما شئت! فأنت، في نظرِ الناس زَبَّالٌ! مجردُ زبالٍ، فهِمت؟

وحاولَ «أبو عزة» الاحتجاجَ، ولكن «الكرشاوي» أسكَتَهَ:

– ششش! سيارةٌ قادمةٌ.

وأخـرج رأسَـه من بين أغـصـانِ الأجَـمَـةِ المتـشـابِكَة، وأطلَّ بحـذَرٍ على شـارعِ «أبي رقْـراقٍ» العـريضِ المسـمَّى باسمِ النهـرِ الفاصلِ بين مدينَتَيْ «سلا والرباط» العاصمةِ.

وملأ نورُ السيارةِ عليهما الأجَمَةَ المظلمةَ. ثم زالَ عنها بنفسِ السرعةِ، فَقَال «مفضَّل الكرشاوي» مُحركاً رأسَه:

– ليس هو.

وبَحَث في الأرضِ عن هَراوتِه، وأمسكَ بها، وتأكدَ من أن الجوربَ النسائي ما يزالُ فوقَ رأسِه كطاقيةٍ يمكن إنزالُهَا على وجهِه في لحظةِ الصِّفْرِ.

كانتِ الساعةُ تقاربُ الثامنةَ والنصفَ من مساءِ ليلةٍ شِتْوِيةٍ حالكةِ السوادِ، تُنذرُ سَماؤُها الغائمةُ بوابلٍ شديدٍ.

وكانت الأجمةُ التي يختفيان فيها كثيفةَ الأغصانِ، مُعلَّقةً بالجُرْفِ المُحادي لشارعِ «أبي رقراق» «بحيٍّ حسَّانٍ» الهادئ حيث يقعُ عددٌ من منازلِ السفراءِ التي تشرفُ على مَصَبٍّ النهرِ المنفتحِ نحو المحيطِ.

وكان «الصدِّيقُ بوعزة» يجلسُ القُرفُصاءَ بين الأغصان،

يُخفي ظلامُ الليل تقاسيم وجهه القلق. وكان يتساءَلُ داخلَ نَفْسِهِ عن حكمةِ ما هو مُقْدِمٌ عليه. لم يكن مقتنعًا بما زَيَّنهَ له صديقُ صباه، «مفضَّل الكرشاوي» من يُسْرِ العمليةِ، وخروجهِمَا منها سالمين ودون اقترافِ جريمةِ قتلٍ أو غيرِها.

ولِمسَ الهَراوةَ الغليظةَ التي كان ينوي «مفضلٌ الكرشاوي» تنفيذَ العمليةِ بها على رأْسِ الرجلِ الغَنيِّ. وتخيَّلها تنزلُ على رأسِه هو وكيف سيكونُ مفعُولُها!

وتردَّد كثيرًا، وحاول التراجُعَ، ولكن قبضةَ صديقِه «الكرشاوي» عليه كانت قويةً، فلم يستَطِعْ التخلصَ منها...

لم تكن قبضةَ يدٍ ماديّةً ملموسةً، بقَدْرِ ما كانت سيطرةً مغناطيسيةً يُمَارسُها عليه صديقُه منذُ صباهما الباكرِ.

كان كلامُه ونظراتُه يُخدِّرانه ويَسْلُبَانه كُلَّ إرادةٍ أو تفكيرٍ حُرٌّ مُسْتقلٌّ... ورغْمَ أنه انفصل عنه عدةَ سنواتٍ قضاها «مفضلُ الكرشاوي» في السجونِ والهيامِ على وجهِه مع عصاباتِ اللصوصِ والمُهَرّبين ومروِّجي المخدِّرات من سكَّان العالَم التحتي الرهيبِ، فقد بقِيتْ العلاقةُ بينهما قويةً تخضَعُ لقَوالِبِ الصِّبا البعيدِ.

وفي صباحِ ذلك اليوم، بينما كان الصِّدِّيق يُفْطِرُ بما يجودُ عليه به طبَّاخُ تُكْنَةِ حرسِ الضريحِ من قهْوةٍ وخبزٍ وزُبْدٍ، إذ وقف على رأسِه «مفضل الكرشاوي». رأىَ ظلَّه أولاً يحجُبُ عنه شمسَ الصباحِ الباهتةَ، دون أن يسمَعَ وقعًا لحِذائه؛ فقد كان التسلُّلُ والمفاجأةُ من طبعِه. ورفع «الصدِّيق» عينيه فرأى صديقَه القديمَ، فنهض من إقعائِه لتحيتِه وعِناقِه:

– أين كنت يا مفضّلُ طولَ هٰذه السنين؟!

ولم يجب «مفضلُ»، بل قال:

– قل: «بازْ!»(*)

– بازْ! ولكن لماذا؟

– سنتانِ وأنا في السجْنِ!

فضحِك «الصدِّيق»، وقال:

– ما تزالُ كما كنت! شقيًا كثيرَ المزاحِ!

وذهب إلى الصندوقِ الذي يخزن فيه أدواتِ عملِه وما يلقاه في القمامة من خُردةٍ تصلُحُ للبيع، وجاء بقطعتَيْ ورقٍ

---

* بازْ بالدارجة المغربية تعني مَرْحَى وتُعبِّرُ عن الإعجاب.

مـقـوًّى فَـرَشَـهُـمَـا على سـورِ زُهورِ الضـريحِ القـصـيـرِ، ودعـاه للجلوسِ. فـجلس « مـفـضَّل » إلى جـانِبِه يحكي له عن سنواتِ السجنِ والمغامراتِ، ويقتسِمُ معه إفطارَهُ.

ولما كـان المطرُ قـد نزلَ بغـزارةٍ في الليلةِ السـابقـةِ، وغَـسَلَ الأرضَ حتى أصـحبت كالمرآةِ اللامـعة، لـم يبقَ « للصِّـدِّيق » مـا يفعلُه، وجلس يُنصِتُ مبهوراً إلى حكاياتِ صديقهِ العجيبةِ.

وفي النهايةِ تنهَّدَ « مفضَّلُ الكرشاوي »، وقال:

– ولكنني الآن كـبِرْتُ وعـقَلْتُ، وأريدُ أن أنتـهيَ من كلٍّ هذا، وأتزوَّجَ واستقِرَّ.

وأَعْجَبَ « الصدِّيقَ » كلامُه هذا، فسأل متهلِّلَ الوجهِ:

– صحيح؟

– صـحـيحٌ، واللهِ العظيم! لقـد انكسـرتْ على رَأْسي القُدورُ، ولـم أعُدْ أحتـمِلُ حياةَ الصعْلَكَةِ والسجونِ والفرارِ من وجهِ العدالةِ.

– ولكن، بماذا ستعيشُ؟ هل عثرتَ على شُغْلٍ؟

– شُغْل!؟ لا. أنا لا أصلُحُ للشغلِ، ولا الشغلُ يصلُحُ لي.

وبان الاستغرابُ على وجهِ «الصدِّيق»:

– وكيف تنوي أن تكسِبَ قُوتَ يومِك؟

– لذلك جئتك، عندي خطةٌ في غايةِ السهولة، ونجاحُها مضمون. سمِعتُها من أحدِ اللصوصِ الكبارِ في السجنِ، أوهمْتُه أنني لَنْ أخرجَ إلا بعدَ سنواتٍ من خروجِه، فأسرَّ إليَّ بها في وقتٍ من أوقاتِ ضُعْفِه.

ونهض «مفضلُ الكرشاوي» من مجلسِه، ووقف ينظرُ في كُلِّ اتجاهٍ ليتأكدَ من أن أحداً لا يسمَعُهُما، ثم عاد واقتربَ من «الصدِّيقَ» وأخذ يهمِسُ إليه بصوتِه المحشْرَجِ:

– هناك رجلٌ غنيٌّ جداً يحمِلُ إلى بيتِه في آخرِ يومٍ من كلِّ شهرٍ حقيبةً تحتَوي على مائةِ ألْفِ درهمٍ ليدفعَ أُجورَ عُمَّاله الكثيرين في البناء. تصوَّرْ مائةَ ألفِ درهمٍ! عشرةَ ملايينَ سنتيم! إذا اقتسمناها أنا وأنت أمكنَنا أن نبدأَ أيَّ مشروعٍ نعيشُ منْهُ في سعادةٍ وهناءٍ! ولن يضُرَّ ذلك صاحِبَها الغنيَّ في شيء.

وحرَّك «الصدِّيقُ» رأسَه في خيبةِ أملٍ، فسأله «مفضلُ»:

ـ مالك؟

ـ ألم تقلْ لي إنك تُبْتَ عن هذه الأعمالِ؟!

فاقترب «مثفضلُ» منه حتى الْتصَقَ به، والْتفتَ يمنةً ويسْرةً، ثم ركَّزَ عينيهِ النفاذتين في عينيِ «الصدِّيق»، وأخذ يهمِسُ له مُنَوِّمًا:

ـ طبعًا تُبْتُ تَوبةً نصُوحًا! ولن أعودَ إلى مخالَطَةِ اللصوصِ والمجرمين وقُطَّاعِ الطرقِ؛ لذلك جئتُ إليك أنتَ بالذاتِ، صديقِ الصِّبَا، والناصحِ الأمينِ وأُقسِمُ لك برأسِ أمي أن هذه ستكون آخرَ عمليةٍ، ولن يُصابَ فيها أحدٌ بسوءٍ وسنعيشُ نحن،أنَا وأنت في سعادةٍ وهناء دائمين، ونَحُجُّ بيتَ اللهِ، ونستغفِرُه من ذنوبِنا.

تفاصيلُ المشروعِ التجاري عندي. سوف تعرِفُها بعد أَن تستلِمَ نصيبَك من الغنيمةِ السهلةِ. فَضَعْ كامل ثقتك في صديق طفولَتِك وصِباك! هل سبق أن خدعتُك أو كذبت عليك في الماضي؟ فهل ستكونُ شريكي وتُنْقذُني من عِشرةِ السوءِ، أم سترفُضُ طلبي وترميني في أحْضانِهم؟

ووجد «الصدِّيقُ» نفسَه يحرِّكُ رأسَهُ موافقًا على المشروعِ، وقد غاب وعيُهُ، وغرِقُ في سُباتٍ مغناطيسي عميق...

وسأله عنِ الرجلِ الغني، فأجابَه «مفضل الكرشاوي» بأنه تعلَّم بالتَّجرِبَةِ أنه من الأحسنِ ألا يعرفَ عن ضحاياه شيئًا حتى لا يُحِسُ نحوهم بعطفٍ، وأنه يجبُ اعتبارُهم مجردَ أرقامٍ أو جيوبٍ تحمِلُ محافظَ نقودٍ. أو أكياسَ نقودٍ متحركةٍ، حتى لا يشعُرَ بإِثمٍ أو توبيخِ ضميرٍ!

وفوجئ الصديق حين سألهُ عن يوم تنفيذ العملية فقال له:

ـ اليوم.

ـ اليوم؟!

ـ نعم اليومَ آخرُ يومٍ في الشهرِ. وإذا أخطأْناه وجب علينا انتظارُ شهرٍ كاملٍ! ومَن يضمَنُ ما سيحدثُ في شهرٍ لي أو لَكَ؟

كان «مفضلُ الكرشاوي» يريدُ أن يدُقَّ الحديدَ وهو ساخِنٌ؛ لذلك انتظرَ يومَ تنفيذِ الخطةِ بالذاتِ ليأتيَ إلى

صديقه. فهو يعرِفُ أنه إذا طالت مدةُ الانتظارِ بَرَدَتْ قَدَمَا «الصدِّيقَ» وزال عنه مفعولُ التنويمِ المغناطيسي...

ولاح ضوءُ سيارةٍ قادمةٍ، فأمسك «مفضل» بالهَراوة، وتهيأ للانقضاضِ والْتفتَ إلى «الصدِّيقَ» قائلاً:

ـ تذكَّرْ ما قلته لك؛ أنتَ اخطفِ الحقيبة واهرُبْ! لا تنتظرني! واتركِ الرجلَ لي، ولا تلتفت بالمرةِ، فهِمت؟

وحركَ «الصدِّيق» رأسَه فاهماً.

وأبطأتِ السيارةُ سيرَها. وأومضَ ضوءُ إشارتِها في اتجاهِ الشارعِ الذي يُقيمُ به الرجلُ الغَنيُّ، فوثَبَ الاثنان من مخْبئِهِما، وعَبَر الصدِّيقُ إلى الجانبِ الآخرِ، وتسللا تحت الأشجارِ إلى الشارعِ الذي وقفت فيه السيارةُ. ووقف كلٌّ منهما خلف شجرَةٍ.

وفوجئَ «الصديقُ بوعزة» حين رأى أن الرجلَ الذي يخرجُ من السيارةِ هو «الحاجُّ الطيبُ». فتحرك بسرعةٍ نحو صديقهِ «مفضلٍ»، وأمسكَ بذِراعِه هامساً في حسْرةٍ واستعجالٍ:

ـ انتظر!

ـ لماذا؟

ـ إِني أعرفُ ذلك الرجلَ. إِنَّهُ «الحاج الطيب»!

ولكن «مفضل الكرشاوي» كان، قد انقَضَّ نفْسانيًا، على الرجلِ، فلم يعدْ هناك مجالٌ لإرجاعِه! كان كالبَبْرِ الذي تربَّصَ لفريستِه على جانبِ الغديرِ حتى صارت داخلَ مسافةِ انقضاضِه، وملأت خياشِمَهُ رائحتُها الشهيةُ، بحيث أصبحَ مستحيلاً إقناعُه بالتراجُعِ، إلاَّ بقوةٍ أشدَّ من قوتِه!

أمسك «الصدِّيقَ» بذراعِه فوجدَها في صلابَةِ الحديدِ! ونظر إِلى عينيهِ فإِذا هو مركِّزٌ لا يرمُشُ على الرجُلِ الذي كان يخرُجُ من سيارتِه بهُدوءٍ وينحني ليُخرِج الحقيبة من تحت الكرسِي.

وفي لحظةٍ بعينها انطلقَ مُفَضَّلٌ كالوحشِ الكاسرِ شاهراً الهَراوةَ ليهوِيَ بها على رأسِ الرجلِ! ولكنَّ «الصدِّيقَ» جرى خلفَه فلَحِقَ به والهراوةُ في طريقِها إِلى رأسِ «الحاج الطيب»، فارتمَى عليه ودفعه من الخلفِ دفعةً قويةً أفْقَدتْه توازُنَه، فوقع على وجهِه آخذاً الحاجَّ معه إِلى الأرض!

ورأتِ الخادمُ التي فتحت له بابَ المرآب ما كان يحدُثُ فبدأت تصيحُ وتستغيث! وحاولَ «مفضل» الارتماءَ على الحقيبةِ والفرارَ بها، ولكن «الصدِّيقَ» أمسك بذراعيْهِ من الخلفِ، ونزلَ فوقه بكاملِ ثِقْلِه، صائحًا في «الحاجِّ الطيب»:

ـ اهرُبْ! اهرُبْ يا سيدي الحاجُّ!

وخرج الجيرانُ، وتجمَّعوا عليهم، وأمسكوا «بمفضل الكرشاوي» الذي أخذ يصرُخُ بين أيديهم:

ـ امسكوا به هو كذلك! إنه معي! نحن في العملية معًا!

ولم يصدِّقه أحدٌ. فقد كانوا جميعًا يعرِفونَ الصدِّيقَ بوعزة.

ووصلت سيارةُ الشرطةِ فأخذت الاثنين إلى المركزِ. أخذتِ «الصدِّيقَ» كشاهدٍ.

واعترف «الصدِّيقُ بوعزة» لعميدِ الشرطةِ بأنه كان شريكَ «مفضل الكرشاوي» في خُطتِه، وأنه ندمَ على ما فعل، وأخذ يبكي...

ونظر إليهِ العميدُ غيرَ مصدِّقٍ وسأل:

- لماذا غيَّرتَ رأيَك في آخرِ لحظة؟

- لأنني لم أكن أعرفُ أن الضحيةَ هو «الحاجُّ الطيب».

- هل تعرِفُهُ «الحاجَّ الطيب»؟

- نعم؛ فأنا زبّالُ الحي، وأراه كلَّ صباحٍ في ملابسِ الرياضةِ، أو راكبًا حصانَه.

- هذا كلُّ ما تعرِفُه عنه؟

- نعم.

- هل كان يعطيك شيئًا من حين لآخرَ؟

- لا، أبداً...

- هل كانت عائلته تُخْرِجُ لك طعامًا أو ملابسَ قديمةً مثلاً؟

- لا، ذلك يستأثرُ به زبالو المنازل. أنا زبال الشارعِ فقط. ولا أطرُقُ أبوابَ المنازلِ.

- فلماذا دافعت عنه إذن؟ وكنت ستنالُ من العمليةِ ما يكفي لإراحتكَ زمنًا طويلاً من عملِك الشاقِّ؟

- لا أدري.

وفكَّر قليلاً، ومسح دموعَه بظهرِ يدِه، وأضاف:

- رُبّما لأنه أعطاني شيئاً أكثرَ من المالِ والطعامِ والملابسِ المستعمَلَة.

- مثل ماذا؟

ونظر «الصدِّيقَ» إلى الأرضِ مفكِّرًا ثم قال ببطءٍ وبكلماتٍ مقطعة:

- أعطاني إنسانيتي وحفِظَ لي كرامتي. كان يُشْعِرُني بأنني إنسانٌ لا فرقَ بيني وبينَه، رغمَ غِناه العريضُ وفقري الشديدِ. كان يرفعُني إلى مستواه، فأشعُرُ أنا الآخر وكأنَّني أمتطي صهوةَ جوادٍ مطهَّمٍ مثلِ جوادِه، وارتدي بِذْلَةَ رُكوبِه الأنيقَةَ، وأملِك الدنيا وما فيها!

- كيف؟

- كان كُلَّما مرَّ بي، وأنا أكْنِسُ الأرضَ، يقول لي: «السلام عليكم!»



رئـبال

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

حين اجتمعَتْ لجنةُ تكريمِ الشيخِ الأستاذِ محمدٍ عبدِالهادي، معلِّمِ الأجيال، طُرِحَ للمناقشة اسمُ رِئبالٍ العَبدي، كأحدِ تلاميذهِ المتفوقين المرشحين للحديثِ عنه في حفلِ التكريمِ. واعترض بعضُ أعضاءِ اللجنةِ المحافظين على ترشيحِه، بدعوَى أنه حادُّ المزاجِ وعصبيٌّ غريبُ الأطوارِ، وقد يُفسِدُ الحفلَ!

ودافع عنه صديقُ صباه الأستاذُ مختارُ القُرَشي، رئيسُ اللجنةِ، بأنَّ الأستاذَ المكرَّم يعرِف ذلك، فقد كان معلِّمَه، وكان معجَبًا بذكائه الحادِّ ومواهبِه الأدبية الاستثنائية وصراحتِه القاسيةِ أحيانًا. إلى جانبِ أن الشيخَ المكرمَ يتوقَّعُ أن يكونَ تلميذُه المشاغِبُ القديمُ من بين المتكلمين في حفلِ تكريمه. وسيَخيبُ أملَهُ إذا لم يُدْلِ بشهادته.

وأقنعَ اللجنةَ بأنه سيأخُذُ عليه تعهُّداً بأن يكونَ كريمًا مع معلِّمه الكبيرِ السنِّ والمقامِ، ويلتزمَ بأصولِ اللَّبَاقة واللياقةِ.

كان رئبالُ العبدي طويلاً، نحيلاً، لامع العينين في جُحوظٍ خفيفٍ يعطيه قوَّةً. وكان كثيرَ القراءَة والتفكيرِ، قليلَ

الإنتاجِ الأدبي. يكتُبُ شعراً سياسيًا واجتماعيًا حادًّا كمزاجه، خارجًا عن مَسَارِ التفكير العام. ولم يكن يُطْلِعُ على ما يكتُبُه إلا أصدقاءَه الحميمين القليلين، ومن بينهم صديقُ صباه ومديرُ مدرستِه، رئيسُ الجنةِ، المختارُ القُرَشي الذي كان يحبُّه بدون قيدٍ ولا شرطٍ، ويحتمِلُ تقلُّباتِ مِزاجِه وثوراتِه العنيفةِ على أنها ضريبة العبقريةِ.

ومن شطحاتِ رئبالٍ العبدي العجيبةِ أنه قدَّمَ مرة إلى القرشي استقالَتَه من التعليمِ في مدرستِه، بدعوَى أنه غيرُ جديرٍ بتشكيلِ عقولِ الأَجْيال! وأصرَّ على الاستقالةَ، وهو لا يملِكُ خبزَ عِشائه وتظاهَرَ صديقُه بقَبولِها، بعد فشَلِ جميعِ محاولاتِ إقناعِه بالعدولِ عنها. وفي آخرِ الشهرِ حَبَسَ عنه أُجرتَه حتى جاء ليقترِضَ منه مبلغًا يقتاتُ منه، فسلَّمه المديرُ حوالَتَه قائلاً:

« رفضتِ الوزارةُ استقالَتَك، ونقلَتْكَ إلى الإدارة. »

وقبِلَ رئبالُ المشاركةَ في حفلِ التكريم، بشرْطِ ألاَّ يقدِّمَ كلمتَه مكتوبةً إلى اللجنة، وأن يلقيَها ارتجالاً، فوافق المديرُ على مَضَضٍ...

وجاء يومُ الحفلِ الموعودُ، وكان في قصْرٍ من قصورِ المدينةِ القديمةِ الفاخرةِ.

ودخل الشيخُ المكرَّمُ ملفوفًا في البياضِ من عِمامتِه إلى جواربِه وَبلغتِه. واستقبلَتهْ عاصفةٌ من التصفيق، وهو لاهٍ عنها بالحديثِ إلى القُرَشي، رئيسِ اللجنةِ، كمن اعتادَ على التكريمِ والتشريفِ، وعلى أن يكونَ بؤرةَ الاهتمامِ حيثُما حلَّ وارتحل...

وبعد الافتتاحِ بآياتٍ من الذكرِ الحكيمِ، وكَلِمةِ رئيسِ اللجنةِ، وبرقياتِ كبارِ المتغيبين «لأسبابٍ قاهرةٍ»، وكلماتِ كبارِ الرسميين، جاء دورُ رئبالٍ العبدي، فوقف يَتَصفَّحُ الوجوهَ وجهًا وجهًا، ويبتسِمُ ابتسامتَه الغامضةَ. وساد الصَّمتُ والتوقُّعُ، وانضمَّ المنظِّمُونَ والمكَلَّفون بتوزيعِ الشاي والحلواء إلى جمهورِ المنصِتين.

وأخيراً نطق رئبالُ العبدي قائلاً، دون مقدمات:

«مرحبًا بكم في نادي المعاقين! في حفلِ تَعْرِيَةِ صانعِ العاهات!»

وارتجَّتِ القاعةُ! وسرَى في الحاضرين تيَّارٌ عنيفٌ... وهَمَّ أحدُ الحاضرين بالوقُوفِ لإجلاسِ المتكلِّمِ الوقِحِ، فأومأ إليه الشيخُ المكرمُ بألا يفعَلَ.

وانتظرَ المتكلِّم حتى امْتصَّتِ القاعةُ صدمتَه الأُولَى، وهو مبتسِمٌ ابتسامةً أشبهَ ما تكونُ بالتكشيرةِ عنِ الأنيابِ، ثم قال:

«تصِلُني من القاعةِ ذبذباتُ استنكارٍ لما قلتُ. أنا لم أجئْ لأُفسدَ هذا الحفلَ، بل جئتُ لأصحِّحَ مسارَه. جئت لأقولَ كلمةَ حقٍّ أعرفُ أنها لن تُقالَ في أعراسِ المحُاباةِ والمُداراةِ والمجاملَةِ والنِّفاقِ..»

نطق الكلمةَ الأخيرةَ بصوتٍ عالٍ، وبضربةٍ من قبضتِه المُتشنِّجَةِ على المنصَّةِ دَلَقَتْ كأسَ الماءِ.

ووقف رجلٌ في حوالَي الخمسين في الصفِّ الأولِ لينصَرِفَ، فصاحَ فيه رئبالُ، كما يصيحُ في أحدِ تلاميذِه الصغارِ: «اقعد!» فقعد الرجلُ صاغراً، وعاد المتكلِّمُ إلى جمهورِه المتهيِّجِ:

« جئتُ لأقولَ الحقَّ الذي أنتم في أشَدِّ الحاجةِ إليه! والحقُّ كما تقولون لا يقولهُ إلا الصبيُّ أو الأحمقُ! وأنا، كما تعلمون كِلاهُما، وهما معًا! قلت عن شيخِنا المكرَّمِ – والله يعْلَمُ أنه أحَبُّ إليَّ من أبنائِه إليهِ – إنه صانعُ عاهاتٍ! وكيف يصنعُ العاهاتِ رجلٌ كان وراءَ مبدإٍ تعريبِ التعليمِ وتعميمِه وإلْزامِه؟! المعلِّم الأولُ بامتيازٍ! الحقيقةُ، أيها السادةُ المعاقُون أنَّ ذلك المبدأَ العظيمَ الذي بدا لنا، منذ ما يزيدُ على ثلاثينَ سنةً، أنه لا يأتيه الباطلُ من بين يديهِ ولا من خلفِه، هو الذي خرَّبَ التعليمَ ببلادِنا، وجعل من جيلِنا هذا المُشرِفِ على التقاعُدِ جيلاً من المُعاقين، ليس جسديًا، بطبيعة الحالِ، ولكن فِكريًا وتربويًا وثقافيًا واجتماعيًا!

« وكلنا يذكرُ كيف تحمَّس شيخُنا الجليلُ لمبدئه العظيم، وكيف جَرَفَنا حماسُه، ونحن شبابٌ، وتجندت القُوَى الحية وراءهَ، لندركَ جميعًا، وبعد رجوعِ طلائعِ الارتيادِ الأولَى، أن تحقيقَه بعيدُ المنالِ! كانت الأميةُ مُطْبِقةً على البلادِ، والأطرُ الكفأَةُ دونها خَرْطُ القَتَادِ!

«وهنا كان ينبغي، بل يجبُ على شيخِنا المكرمِ الذي كان في ريْعانِ رُشْدِه أن يتحلّى بفضيلةِ الشجاعةِ الأدبية، ويقتدي بسيدِ الأنبياءِ الذي كان يدرِّسُنا سيرتَه، فتدمعُ عيناه، وترتعِشُ يداه وشفَتاه ويبكِي فيُبكينا ونحنُ صِغارا! كان عليه أن يقتديَ بقولِه، عليه السلام: «إن الرائدَ لا يكذبُ أهلَه. واللهِ لو كذبتُ الناسَ جميعًا ما كذبتُكُم!»

«كان عليه أن يكُفَّ عن الركْضِ أمَامنا، ويرفَعَ يَدَهُ، ويوقِفَ القطيعَ الهائلَ الراكضَ وراءه بثقةٍ عمياءَ، ويُصارحَه بالحقيقةِ المُرَّة: «لقد أخطأْنا الطريقَ! فلْنَعُدْ من حيثُ بدأنا!» ويصرِفَ الجميعَ إلى أعمالِهم السابقةِ، ثم يختارُ نخبةً من الشبابِ الذكي المتعلِّم، ويجعلَ منها خميرةً نظيفةً لتكوين المكوِّنين من المربيين والمعلمين والأطرِ الإداريةِ الكُفْأة... لا يهمُّ أن يأخذَ ذلك عشرين سنةً أو ثلاثين، ولا حتى أربعين! فَلأَنْ نسيرَ على طريقِ الصوابِ مُتأخِّرين خير من أن ندخُلَ الضَّلالَ مبكِّرين!».

وصفَّق أحدُ الحاضرين، ولم يتبعْه إلا ثلاثةٌ أو أربعةٌ،

أسكتتهم نظراتُ الآخرين... واستأنفَ رئبالُ، غيرَ عابئٍ ببرودَة القاعةِ:

«ولكن شيخَنا العزيزَ آثر الهروبَ إلى الأمام! فجمع كلَّ من هبَّ ودبَّ ممن يستطيعون فكَّ الخطِّ أو رسْمَ الأرقامِ من العاطلين وصِغار التجارِ والحِرَفيين الفاشلين، وملأَ بِهِم المدارسَ، دون أدنَى تدريبٍ أو اختبار! وبطبَقَةٍ من نفسِ المستوى ملأَ إدارةَ التعليمِ، ترك لهم تَخطيطَ البرَامِجِ ووضْعَ المبادئ والأسُسِ التربوية لبناءِ جيلٍ ما بعد الاستقلالِ! فماذا كانتِ الحصيلةُ؟ جيل منَ المُعاقين المساكين! جيل عشَّشتْ في عقُولهم الفوضَى والخُرافَةُ والجهلُ وانعدامُ الثِقة بالنفسِ! هذا الجِيلُ هو الذي عُهِدَ إليه بتكوينِ الجيلِ الذي جاءَ بعدَه! وهكذا أَصْبَحَ كلُّ جيلٍ يَرِثُ جهلَ سابِقه وفراغَه، ويورِّثُهما لِلاَحِقه!

«وإذا كان لنا أن نلتمِسَ العزاءَ في شيءٍ، فإننا لسْنَا وحدَنا في هذه المِحْنةِ! والمُصيبةُ إذا عمَّتْ هانت. فالظاهرُ أن نُسَخًا طِبقَ الأصلِ من مكرِّمِنا كانت تعمَلُ بنفسِ العقليةِ والحماسِ في جميعِ أرجاءِ الوطنِ العربي! فإذا مَسَحْتُمْ بأبصارِكم أُفُقَ

الأمةِ العربيةِ، ولم ترَوا إلاَّ الخلافاتِ والحروبِ والحرائقِ والخرابِ، فلا تستغْرِبوا! فإنَّ العقولَ والنفوسَ الشوهاءَ لا يمكن أن تَبْنِيَ مجتمعاتٍ سويةً سْليمةً!»

وسكت قليلاً وهو يلهثُ، وكأنَّهُ يحمل عبئًا ثقيلاً، وجال بعينيهِ في الوجوهِ وقد ازدادَ الصمتُ عُمْقًا في القاعةِ، وظهرتْ علاماتُ الجدِّ على الوجوهِ، ثم قال:

«إني أجولُ بعينَيْ عقلي في هذه الوجوهِ الشفَّافةِ، فلا أرى إلا أصمَّ أو أعمىَ أو أبكَمَ أو كسيحًا أو مريضًا أو خائفًا أو حاقداً أو جاهلاً أو قليلَ تربيةٍ ولَبَاقةٍ وذوقٍ، مُخْتَلَّ العقلِ مثلي!»

وأمسكَ رأسَه بين يديهِ، وكأنَّه يخشَى عليه أن ينفجرَ، وصاح صيحةً اهتزت لها القاعةُ:

«واضيعةَ هذا الجيلِ! وواحسرتاه! وواشقْوتَاه!»

وانهمَرَتْ دموعُه غِزاراً. وهمَّ القُرَشيُّ بالنهوضِ، فأجلسَهُ الشيخُ، ونهض هو إلى المِنصَّةِ حيث أمسك برئبالٍ من كتفيه، وضمَّهُ إليه، وقد لمعتْ الدموعُ على خدَّيه وهي تُسقِي لحيتَه الفضِّيةَ.

وأحرج الموقِفُ الجمهورَ المتوتِّرَ، واغرورقت عُيونُ بعضِهم بالدموعِ، وعلَت زفراتُهم، فصفَّقَ أحدُ الحاضرين بحماسٍ، رافعًا عقيرتَه بالتكبير:

«الله أكبر! الله أكبر! لله درك! لله درك!»

وتبعَهُ الجمهورُ بالتصفيقِ منفِّسًا عن كَبْتِه وتوتُّرِه.

وأخرج الشيخُ المحتفَى به منديلَه الضخمَ المشهورَ، فمسحَ عينيهِ وأنْفَهُ بصوتٍ عالٍ ناشفٍ، وأمسكَ بالبوقِ، وقال مخاطبًا تلميذَه القديمَ رئبالَ العبدي:

«لا فُضَّ فُوكَ، يا ولدي رئبالُ! مازِلت كالعهدِ بك، رئبالاً صنديداً، لا تخشىَ في الحقِّ لومةَ لائم! ولن ألومَكَ على كلمةٍ مما قُلتَه! سألومُكَ فقط على شيءٍ واحدٍ...»

وتعلَّقتِ الأَسماعُ والعيونُ بفَمِ الشيخِ، فقال:

«سألومك عَلَى أنكَ سبقتني، وقلتَ كُلَّ ما كنت سأقولُه، وتركتني بلا خطابٍ! ولو لم أكن كتبتُ خِطابي أو اعترافي، هذا الصباحَ، وبقيتُ نسختُه الوحيدةُ في جيبي حتى الآن، لقلتُ سَرَقْتَه منِّي!»

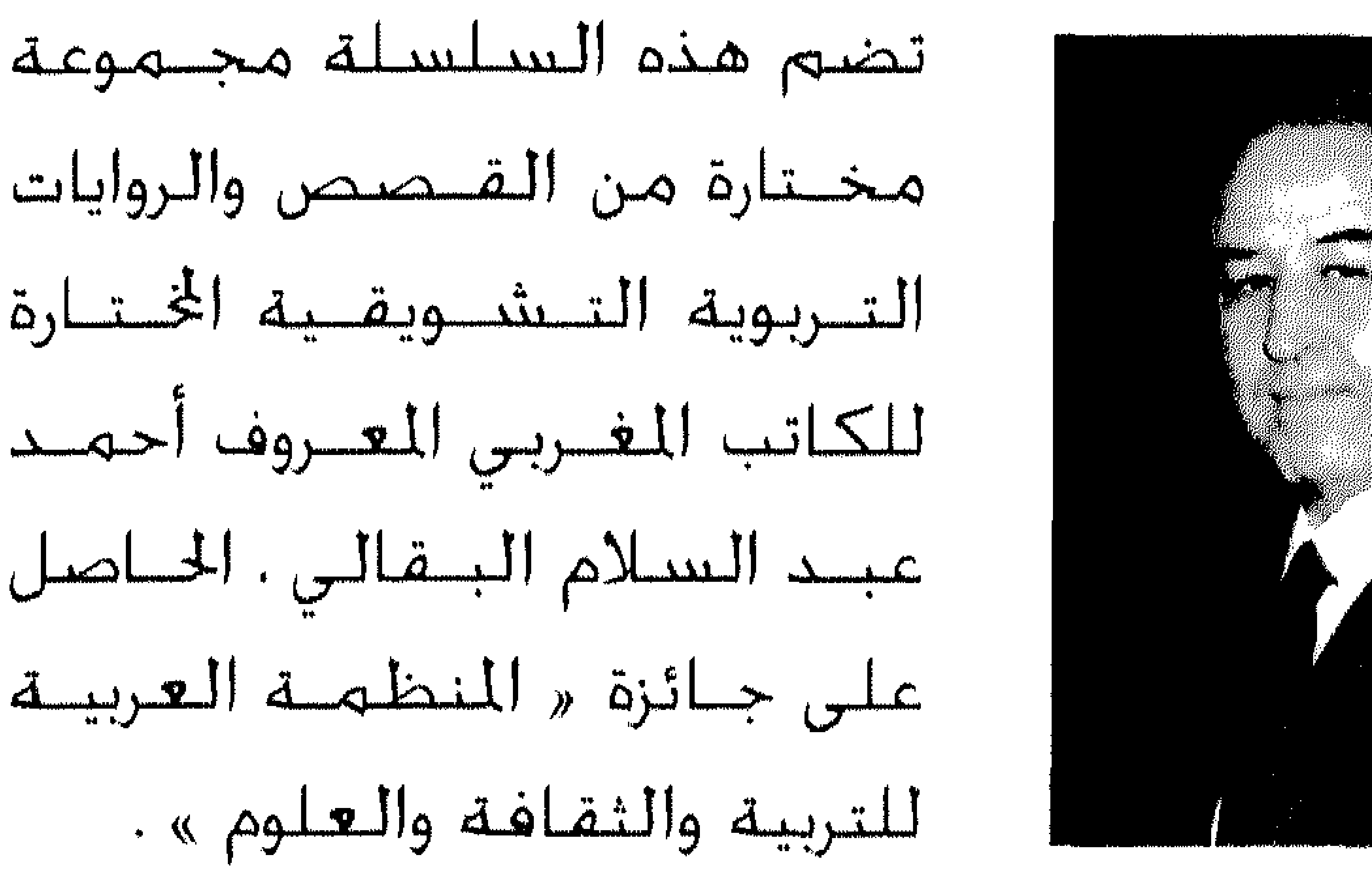
وأخرج الخطابَ من جيبِه، ومدَّه إلى رئيسِ اللجنةِ قائلاً:

«خذه الآن، فقد كفاني رئبال مشقَّةَ إلقائه. وكلٌّ ما أتأسَّفُ عليه هو أنني لم أملكِ الشجاعةَ لكتابتِه وإلْقائِه أو نشره قبلَ اليوم، وأشكرُكُم على تكريمي هذا... والحقيقةُ أن أعظمَ تكريم اعتزٌّ به، هو أن يكونَ من بين تلاميذي رجلٌ مثلُ رئبالٍ. رجلٌ احتقر الدنيا وصغُرَتْ في عينيه عظائِمها، وعاشَ للحقِّ والحقيقةِ. أنا أشعرُ أن حياتي لم تذهبْ سُدىً. وأنَّ في الإمكانِ البدءَ من جديدٍ، ومن نقطةٍ نظيفةٍ اسمُها رئبالُ العبدي!

وصفق الحضورُ بحرارةٍ والشيخُ يحاوِلُ إسكاتَهم بيدِه زاهداً في إعجابِهم، والتفتَ إلى رئبالٍ الذي كان قد عادَ إلى مقعدِه، ودفَنَ وجهَه بين يديه، وقال له:

«لقد كنت يا رئبالُ دائمًا ضميرَ جيلِكَ الحَيَّ! وما دام أمثالُك بيننا، فلا خوفَ على أُمَّتِنا من الضياعِ...»


العبيكان
obeikan
Printing & Packaging

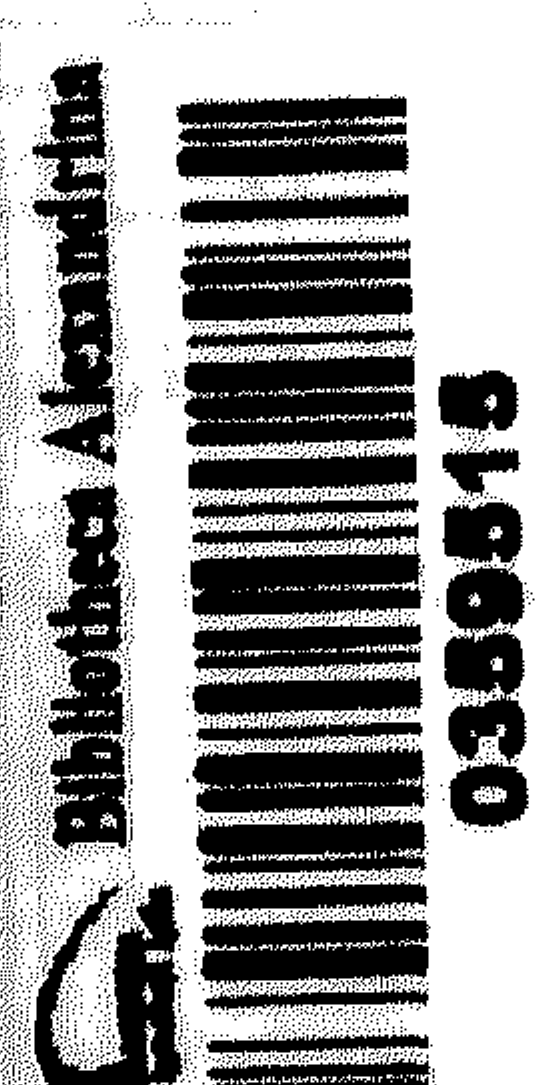


هذه السلسلة



تضم هذه السلسلة مجموعة مختارة من القصص والروايات التربوية التشويقية المختارة للكاتب المغربي المعروف أحمد عبد السلام البقالي . الحاصل على جائزة « المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم » .

وهي موجهة للشباب بأسلوب الأستاذ البقالي السلس ، وخياله الخصب ، وخطوته السريعة التي تنقل القارئ من مفاجأة إلى أخرى ، ومن عالم إلى آخر ، يقرب ا الماضي البعيد ، ويلقي الأضواء على عواله بالبراعة نفسها التي يتناول بها الحاضر فالبقالي من أبرع كتاب القصة البوليسية الـ الحديثة للشباب في العالم العربي .



٩٩٦٠ - ٤٠ - ١٢ - ٣
7000384

